الفصل الثالث
القرآن الكريم

مقدمة :

هو الكتاب السماوي المنزل على سيدنا محمد رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام ، هدى ورحمة ونبراسًا يهتدي به الناس في شؤون دينهم ودنياهم ، أوحى به للرسول بلفظه العربي ، وفيه يقول الله تعالى لرسوله الكريم :

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢ـ ١٩٥] (١) .

ويقول السيد أمير علي العالم الهندي في كتابه القيم «روح الإسلام» : القرآن هو الكتاب الكريم الذي أضفى على اللغة العربية جمالها وحفظ لها نقاوتها ، فآياته البليغة التي تجمع بين العظمة والبساطة يبدو خلالها أدب المؤدب ، وفلسفة الفيلسوف ، وصرخة المواطن الحر في قومه ليقلعوا عما تردوا فيه من رذيلة وانحطاط خلقي ، وفوق ذلك فهو كلام الرحمن الرحيم ، على لسان نبيه الكريم ، داعيًا عباده إلى صراطه المستقيم ، كل ذلك جعل للقرآن الكريم مركزًا فريدًا بين الكتب السماوية .

وقد أوحى بالقرآن إلى الرسول عليه الصلاة والسلام على فترات في خلال ثلاثة وعشرين عامًا ، وكان ينطق بنفس الألفاظ التي كان يوحي بها إليها .

وكان بعد أن ينزل عليه الوحي يدعو أحد كُتَّابه ويملي عليه ما أوحي إليه ربه ، فكانوا يكتبونه على العظام وسعف النخل والأحجار وصحاف الفخار ، وكان أصحاب الرسول يتسابقون في حفظه وتلاوته في صلواتهم .

ورغبة في الاحتفاظ بصحة القرآن كما أوحى به ، عَيَّن الرسول عليه الصلاة والسلام أربعة حفاظ ، كانوا يرتلون القرآن في حضرته ، وسمح لهم بتعليمه للناس ، وقد أدى ذلك إلى تزايد عدد حفاظ القرآن .

ومن الثابت أن القرآن كان في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام مكتوبًا كله في صحف متفرقة ، ويحفظه عن ظهر قلب عدد كبير من المسلمين .

---

(١) الروح : سيدنا جبريل .

ولقد أوحي بثلثي القرآن الكريم في مكة المكرمة ، وأغلبه في الإيمان والمبادئ الأولية للإسلام ، والدعوة لوحدانية الله وعبادته ونبذ الأصنام والثلث الآخر أوحي به في المدينة ، ويتناول أكثره شؤون الحكم والأخلاق ، والمعاملات والأحوال الشخصية .

وبه مائة وأربع عشرة سورة ، والستة والثمانون سورة التي أوحىٰ بها في مكة أغلبها قصير ، أما الثماني والعشرون سورة التي أنزلت بالمدينة فأغلبها طويل ، وهناك من الأدلة التي لا تقبل نقضًا بأن سور القرآن وآياته رتبت في وضعها الحالي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام بيد أنه لم توجد في عهده نسخة كاملة مجموعة مع بعضها .

وينقسم القرآن من حيث موضوعاته إلى عدة أقسام :

١ـ العقائد من إيمان بالله وبرسله وكتبه وملائكته والإيمان باليوم الآخر وما فيه ، وبالقضاء .

٢ـ الوعد والوعيد .

٣ـ الأخلاق الفاضلة وآداب السلوك .

٤ـ المعاملات من بيع وميراث وشهادة وإثبات وما إلىٰ ذلك .

٥ـ العقوبات علىٰ الجرائم .

٦ـ الأحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة ووصية وما إلىٰ ذلك .

٧ـ قصص الأولين .

ولم يجمع القرآن الكريم في نسخة واحدة إلا في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ ، حيث عني شخصيًا بتحقيق آياته وسوره مما كتب علىٰ مختلف الرقاع ومن حفاظه الكثيرين ، وكانت النسخة الأولىٰ لتي جمعت في حوزة أبي بكر ﷺ وبعد وفاته بقيت مع السيدة حفصة زوج الرسول عليه الصلاة والسلام .

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ تواترت الشكوىٰ أن بعض قبائل العرب كنت تنطق بآيات القرآن وفق لهجتها مما يغير أحيانًا معانيها ، فعهد سيدنا عثمان إلىٰ لجنة من أربعة من الكتاب والحفاظ بنسخ صورة طبق الأصل من الذي جمع في عهد سيدنا أبي بكر ﷺ ، فتم نسخ سبع نسخ منه ، وزعت علىٰ مختلف القبائل والأمصار ،

مع أوامر مشددة باتباعها بدقة ، وإتلاف ما عداها من نسخ ، وبذلك أصبح النص العثماني هو النص السائد المعتمد في البلاد الإسلامية حتىٰ وقتنا هذا ، وهو نفس النص الذي أوصىٰ به الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهذا هو ما أضفىٰ علىٰ القرآن الكريم الصحة والثقة التي لا تتوافر لغيره من الكتب السماوية المتداولة الآن ، وفي ذلك يقول الكاتب «نولديك» في الموسوعة البريطانية «الطبعة التاسعة» : إن جهود الباحثين الأوربيين لإثبات وجود آيات دخيلة علىٰ القرآن قد ذهبت سدىٰ وباءت بالفشل .

ويقول العالم الألماني «دويتش» :

هذا هو القرآن الذي فتح به العرب في عشرات السنين أرضًا أوسع رقعة من إمبراطورية الإسكندر والإمبراطورية الرومانية التي فتحت كل منها في مئات السنين ، وبه وصل العرب إلىٰ أوروبا دون غيرهم من الساميين ملوكًا يتبوءون عروشها ، علىٰ حين وفد الفينقيون إليها تجارًا واليهود لاجئين أو أسرىٰ ، وكان الظلام والجهل يسودان العالم الغربي ، حتىٰ جاء إليه المسلمون يحملون القرآن ومعه الحكمة والعلم ليبعثوا علوم اليونان وحكمهم من قبرها ، ولينشروا في الغرب والشرق الفلسفة والأدب والطب والفلك والفن حراسًا أمناء علىٰ مصدر الحضارة الغربية ومهد العلم الحديث ، كل ذلك جعلنا معشر الغربيين نقف في أسىٰ ونحيب يوم سقطت غرناطة من أيدي المسلمين .

من القرآن الكريم :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧] .

﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨] .

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت:٤٤] (١) .

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٩] .

---

(١) وقر : صمم مانع من السماع .

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[المائدة:١٥، ١٦].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

ويأمرنا الله تعالى بتدبر آياته:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص:٦٧، ٦٨].

﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١، ٤٢].

وقد يسره الله تعالى لمن أراد أن يتذكر:

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٢٢].

﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤].

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: «**القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى دونه**»(١).

ويوصينا رسول الله عليه الصلاة والسلام بتعلم القرآن وتفهمه وتعليمه: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٢).

ويثني النبي عليه الصلاة والسلام على قارئ القرآن فيقول: «**مثل الذي يقرأ القرآن كالأترجة: طعمها طيب وريحها طيب**»(٣).

---

(١) أخرجه أبو يعلى والطبراني بسند ضعيف.

(٢) البخاري والترمذي عن علي.

(٣) البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري، الأترجة: بضم الهمزة وسكون التاء وضم الراء وتشديد الجيم وتخفيفها: شجرة وثمر طيب حسن الطعام والريح.

«تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدها : كتاب الله وسنتي هذه ولن يفترقا حتى يردا على الحوض» [١] .

وقال ابن عباس : ضمني رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال : «اللهم علمه الكتاب» [٢] .

«بعثت بجوامع الكلم» [٣] .

(١) الحاكم عن أبي هريرة .
(٢) البخاري ومسلم عن ابن عباس .
(٣) البخاري ومسلم عن أبي هريرة .